الوحدة دلالة وطنية وتاريخية على عظمة الشعب اليمني

عبدربه منصور هادي – رئيس الجمهورية

14 أكتوبر
14 OCTOBER
يومية - سياسية - عامة
الأحد - 27 مايو 2012 - العدد 15477

فنون

إشراف / فاطمة رشاد

ثقافة البريقة تستعد لتأسيس مكتبة عامة

عدن / عادل خدشي:

أكد الأخ أحمد عبدالله حسين مدير عام مكتب الثقافة بمديرية البريقة أن مكتب الثقافة بالمديرية يستعد لتأسيس نواة أولية لمكتبة عامة فيها.

وأشار إلى أن المديرية بأكملها لا توجد فيها مكتبة عامة تساعد المواطن على القراءة وتسهل له عناء البحث أو التنقيب عن الكتب وتنشر في أوساط الجيل الجديد روح القراءة والاطلاع.. مضيفا بدلا عن إضاعة الوقت في أمور غير مجدية.

واستطرد قائلا إن مدير عام مكتب الثقافة بعدن الأخ رامي نبيه أبدى تفاعلا واهتماما منقطع النظير لتحقيق هذا الحلم في مديرية البريقة.

وأضاف أن الجهود الحثيثة التي تصب في هذا المجال ستجعل من تحقيق هذا الحلم حقيقة واقعة سيراها المواطن في مديرية البريقة عما قريب.

وفي ختام تصريحه لـ "14 أكتوبر" قال الأخ أحمد عبدالله حسين مدير عام مكتب الثقافة بمديرية البريقة: إننا نتمنى من الدكتور عبدالله عوبل وزير الثقافة دعم هذا الجهد الثقافي الذي يصب ضمن نشر الثقافة للجميع.

قصة مترجمة

باربـــــرا

كان اسمها باربرا.. اسم له وقع في الأذن كوقع العمل، أما عمرها فليس بوسع المرء تخمينه، فقد نال التآكل من الغادة البيضاء فاصطبغت بلون الحجر الرملي المائل للاصفرار، عيناها في حركة دائمة هنا وهناك دون أن تستقرا على شيء محدد، ثم تحملقان في نقطة داكنة في سقف الغرفة الأبيض، أو في ثقب، أو في ذبابة، وتبقى باربرا ساكنة الحركة متأملة ما مر من عمرها.

للأديب النمساوي: جوزيف روث

نقلها إلى العربية: نجيب عبدالله عزيزي

كانت في العاشرة من عمرها عندما توفيت أمها، أما أبوها فكان تاجراً موسراً، لكنه انغمس كثيراً في لعب القمار، وقد تكبد الخسارة تلو الخسارة: النقود ثم المحلات التي كان يملكها، ومع ذلك لم ينقطع عن الحانة وواصل اللعب فيها، كان طويل القامة نحيل البنية، يداه دائماً غارقتان في جيوب البنطلون، كأنهما في حالة تشنج، لا أحد يعلم إلى ماذا يرمي من وراء ذلك، أكان يريد التشبث بما بقي له من نقود، أو منع الأيدي أن تمتد إلى جيوبه للتحقق مما إذا كانت عامرة بالنقود أو خاوية؟ كان يجب أن يفاجئ الآخرين ما أن يبدو لشركائه في اللعب أنه خسر كل شيء، حتى كان يدهشهم بإخراج شيء ثمين أو خاتم أو سلسلة من جيوبه، ويواصل لعب القمار، توفي فجأة دون مقدمات، وكأنه أراد بذلك مفاجأة الجميع.. سقط فجأة على الأرض كأنه عبوة فارغة، ومات في الحال، لكن اليدين ظلتا في الجيوب، بذل الناس جهداً في انتزاعهما من الجيوب، حينها فقط علموا أن جيوبه كانت خاوية، ربما كان السب في موته أنه لم يعد لديه ما يخسره على موائد القمار!.

كانت باربرا حينها في السادسة عشرة من عمرها، انتقلت بعدها إلى عم لها مترهل، يعمل في تجارة الخنازير، يداه بدينتان تغلب عليهما النعومة، كان عندما يطبطب بيده على خدها يخيل إليها أن خنازير صغيرة تدب على وجهها، اما العمة فكانت شخصية يحسب لها حساب، نحيلة الجسم قليلة الكلام وحاسمة، كما هو الحال مدرسة البيانو، عيناها جاحظتان لا تكفان عن الدوران والحركة، كأنهما لا ترغبان في البقاء مكانهما، بل في الخروج من الرأس في نزهة لا تنتهي.

لونهما أخضر فاتح من النوع الذي لا تستهويه الأذواق، كلون كؤوس الشراب رخيصة الثمن، لا يفوتها شيء مما يحدث في المنزل أو في دخيلة تاجر الخنازير، الذي كانت تمارس عليه نفوذاً كبيراً إلى حد يصعب تصديقه، كانت تحدد لباربرا الأعمال المطلوب منها القيام بها، وكان على الأخيرة التحلي بقدر كبير من الحرص حتى لا تتسبب في كسر شيء، وإلا ظهرت ذات العينين الخضراوين في الحال وألقت نظرات حافلة بالبرود، حينها تصاعد الحرارة إلى رأس باربرا.

عندما بلغت العشرين من عمرها وافق عمها على خطبتها لأحد أصدقائه، معلم نجارة قوي الجسم بارز العظام، له يدان غليظتان مفعمتان بالقوة والصلابة، يوم الخطبة أمسك بيدها وضغط عليها بشدة سمعت لها قرقعة، لم تتمكن من سحبها إلا بمشقة، وشعرت حينها بخلو أصابعها من أي حياة، ثم طبع على فمها قبلة عنيفة، وهكذا صارت خطيبته.

تم الزفاف بعد الخطبة مباشرة حسب القواعد والأصول، ثوب أبيض ورياحين خضراء، وكلمة منمقة معسولة للقسيس، وشرب النخب دعا إليه تاجر الخنازير ملقياً أثناءه كلمة مشتتة افتقرت إلى حد أدنى من التركيز، غمرت السعادة معلم النجارة وانكسرت في يده مجموعة من كؤوس النبيذ الفاخرة، كان تاجر الخنازير ينظر إلى عظامه القوية دون أن يجرؤ على إبداء حنقه، ظلت باربرا جالسة طوال الوقت، كأنها ضيفة في زفاف صديقة لها، لم تكن ترغب في فهم حقيقة أنها صارت امرأة، لكنها فهمت ذلك أخيراً بعد أن أصبحت أماً.

اهتمامها بابنها فاق اهتمامها بالنجار، الذي كانت يومياً تحضر له طعامه إلى الورشة، وإن لم تفعل، صارت عرضة لسخطه، كان دائماً في أتم عافية، تنبعث منه دوماً رائحة نشارة الخشب، صموتاً كصمت كنبة المدفأة، في أحد الأيام، عندما كان منكباً على العمل في الورشة سقطت دعامة خشبية ثقيلة على رأسه ما أدى إلى وفاته في الحال.

كانت باربرا حينها في الثانية والعشرين من عمرها، تحمل لقب معلمة، وجدت معاونين لا أحد منهم كان يمانع في أن يصبح معلماً، جاء تاجر الخنازير وأخذ يربت بخنازيره الصغيرة على خدي باربرا تعبيراً عن مواساته، كان يفضل تزويجها ثانية، لكنها تحينت أول فرصة مواتية وباعت الورشة، عملت في المنزل، كانت تقوم برتق الجوارب وحبك الشالات الصوفية لتعول نفسها وطفلها، كان طفلاً قوياً ورث عن أبيه قوة العظام، كثير الصراخ، يتقلب ويتخبط بعنف على سريره كأن له من الركب والأطراف ما يزيد على عشرة، كان دميماً اجتمعت فيه سلامة البنية ودمامة الوجه، لكن باربرا لم تجد فيه ما هو غير جميل بل كانت تشعر بالرضا والفخر وتمتدح خصاله الحميدة العقلية والروحية عند جميع جاراتها، كانت تخيط له قلنسوات وأوشحة زاهية الألوان، وتقضي بعض أيام الأحاد بكاملها تعتني بزينته وأناقته، بمرور الوقت لم يكف ما تكسبه من نقود، وأخذت تبحث عن مصادر أخرى لدخل، وجدت ضالتها في منزلها المتسع كثيراً، علقت لوحة بباب المنزل تعرف بوجود غرفة معروضة للإيجار، وذلك بأحرف غريبة شابها التقطع والارتباك، وبدا عليها أنها على وشك أن تنفصل عن الورقة لتتكسر على الأرض، جاء مستأجرون، كانوا يشيعون البرود في المنزل لفترة من الوقت، ثم يمضون في حال سبيلهم، فيأتي غيرهم.

في أحد الأيام، كان ذلك في نهاية مارس، وقطرات المطر تتساقط من السقف، جاء بيتر فيندلن، كان يعمل كاتباً لدى أحد المحامين، في عينيه البنية الذهبية وهج ينم عن سلامة طوية، أحضر متاعه إلى الغرفة وأقام فيها بهدوء لم تتخلله أية متاعب.

امتدت إقامته حتى أبريل، كان يخرج في الصباح الباكر ويعود عن المساء، في أحد الأيام لم يخرج، ظل حبيساً في الغرفة وبابه مغلقاً، قرعت باربرا الباب ودخلت، كان السيد فيندلن مستلقياً على سريره يبدو عليه المرض، أحضرت له كأساً من الحليب الساخن، لم يفتها ما في لمعان عينيه البنيتين الذهبيتين من حرارة.

بمرور الوقت نشأ بين الاثنين نوع من الثقة، كان طفل باربرا موضوع أحاديث بينهما لا تنتهي، كما تناولا ما يقع من أحداث يومية وأشياء غيرها، تلك الأحاديث الاعتيادية كانت تخفي وراءها شيئاً غير عادي مختلف تماماً، كانت الكلمات بينهما غطاء لأمر غير عادي له وقع السحر.

استرد السيد فيندلن عافيته وقدرته على العمل، إلا إنه ظل في السرير فترة أطول مما تقتضيه الضرورة، رغبة منه في ذلك، أخيراً نهض كارهاً من سريره في يوم حار مشمس، كانت توجد بالقرب من المنزل حديقة صغيرة متربة وكئيبة، أسوارها رمادية اللون، أشجارها بدأت تكتسي لون الخضرة، إذا صرفنا النظر عن المنازل المحيطة بالحديقة، فبإمكاننا التصور بأننا في متنزه حقيقي وجميل، كانت باربرا تذهب أحياناً إلى ذلك المتنزه مع طفلها وبصحبتها السيد فيندلن، بعد ظهيرة أحد الأيام ذهبا سوياً إلى المتنزه، الشمس كانت مشرقة تقبل بأشعتها المقعد الطويل المغطى بالتراب، أخذا يتاجذبان أطراف الحديث، لكن الكلمات كانت مجددا مجرد غطاء لأشياء أخرى، خيم عليهما صمت ارتعش له الربيع، في أحد الأيام طلبت باربرا من السيد فيندلن أن يؤدي لها صنيعاً، إصلاح كلاب المصباح القديم المعلق، وضع الكرسي على الطاولة المهتزة وصعد على القاعدة المشكوك في ثباتها، وقفت باربرا بجانبه ممسكة بالطاولة لتثبيتها، بعد إنجازه العمل المطلوب منه، استند دون قصد إلى كتف باربرا وقفز إلى الأرض، مرت ثوانٍ وهو واقف لكن يده ظلت على كتف باربرا، لم يعلم أي منهما ما يحدث، بقيا واقفين يحملقان في بعضهما دون حراك، أراد كل منهما أن يتكلم، لكن الكلمات لم تطاوعه، كما هو حال النائم المستغرق في حلم يريد أن يصرخ ولا يقدر على ذلك، أخيراً أفاق فيندلن، أمسك بيد باربرا وضغط عليها: "أنت أيضاً" أجابت: "نعم" وبدا كأنهما الآن فقط عرف كل منهما الآخر، بعد انتهاء الحفل التنكري ورفع الأقنعة عن الوجوه، حان أوان المكاشفة ليطمئن كل منهما: "" حقاً يا بابرا" قالها فيندلن متلعثماً، وعندما انفرجت شفتاها لتقول "نعم" تحرك فيليب الصغير وهو على مقعد الراحة محدثاً جلبة وصرخ مولولاً، أسرعت أمه إليه لتهدئته ووراءها فيندلن، عاد الهدوء إلى الطفل ثم أخذ يضحك، نظر فيندلن إلى باربرا قائلاً : "سأعود غداً، دمت بعافية"، تناول قبعته وانصرف، وعندما استدار وهو على عتبة الباب ناظراً إليها، بدأ كأن وهج الشمس ينبعث من كل شيء حوله.

ما إن صارت وحدها حتى أجهشت ببكاء مسموع، سرت عنها الدموع التي سالت على خديها وشعرت وكأنها أسندت وجهها على صدر دافئ، زالت المعاناة التي لازمتها فترة من الوقت، لم تشعر بارتياح عميق منذ فترة طويلة، كانت أشبه بطفل ضل طريقه في الغابة ولم يهتد إلى منزله إلا بعد بحث طويل.

لقد كانت تائهة في غابة الحياة حتى عادت أخيراً إلى بيتها، أضاءت كل ما هو موجود في غرفتها، ظلت باربرا جالسة، رغم حلول الظلام، وهي تغالب تنهدات مكتومة بداخلها، والطفل مستغرق في النوم على كرسي راحة قديم، صدرت عنه حركات وأصوات جعلتها تفيق إلى نفسها، أضاءت النور، وضعت الطفل على السرير ثم جلست إلى الطاولة، ساعدها الضوء الكاشف على أن تفكر بهدوء وترى الأشياء بوضوح، تأملت كل شيء مر بها في حياتها، تراءت لها أمها أمام عينيها، والكيفية التي ظل بها أبوها راقداً على الأرض فاقداً القدرة على الحركة، وزوجها النجار الفظ، كما تذكرت عمها وأحست مجدداً بدبيب الخنازير الصغيرة على وجهها.

لكن الأمر مختلف مع بيتر فيندلن، كان يتبدى لها دائماً بعينيه الطيبتين وما ينبعث منهما من وهج، إذا جاء الغد فستقول له بكل تأكيد: "نعم"، لماذا لم تنطق بها اليوم؟ لا تدري، آه.. إنه الطفل تملكها الحنق فجأة، لم يستغرق ذلك سوى ثوان قليلة حتى سيطر عليها شعور كأنها قتلت طفلها، اندفعت نحو السرير لتقنع نفسها بأن سوءاً لم يحدث له، انحنت عليه وقبلته راجية منه بنظرة حزينة أن يصفح عنها، هل يمكن أن يتغير كل شيء؟ وماذا يمكن أن يحدث للطفل؟ سيحظى بأب غريب عنه لا تعرف إن كان سيمنحه عطفه؟ وما الذي سيضمن لها أن تحظى هي بحبه؟ إذا جاء أطفال آخرون فهل يمكن أن تحبهم أكثر منه، من أجل أن نحظى بحياة جديدة لابد من تركه.. كلا، يمكن أن يظل معها في حياتها الجديدة، وسيكون كل شيء على ما يرام.. هل هذا ممكن؟ إنها تعلم أنها إذا تخلت عنه فلن يعتني به أحد، وستكون هي في كنف رجل غريب، لكن هل هو غريب حقاً؟!

صرخ الطفل فجأة وهو نائم: "ماما! ماما! ماما" انحنت عليه فمد يديه الصغيرتين نحوها ماما! ماما! كأنه نداء استغاثة!

إنه طفلها.. هذا بكاؤه لمجرد أنها فكرت بتركه، كلا! كلا! لن تفارقه ما امتد بها العمر.

أخيراً استقرت على رأي ناضج واتخذت قرارها، أخرجت من الدرج قلماً وأوراقاً وكتبت بمشقة بأحرف عرجاء.. إنها غير منفعلة، هادئة تمام الهدوء، حاولت أن يكون خطها جميلاً قدر الإمكان، رفعت الورقة لتراجع ما كتبت: "لا يمكن أن يتم ذلك، لن يحدث بسب طفلي"، وضعت الورقة في مظروف واسترقت الخطى إلى عند بابه.. غداً سيعثر عليها.

أطفأت النور وحاولت أن تنام، دون فائدة، أخذت تبحلق عبر النافذة طوال الليل، عزل بيتر فيندلن من الغرفة في اليوم التالي، بدا عليه التعب والانكسار وغاب وهج عينيه، لكنه عاد بعد قليل ومعه باقة ورود وضعها بصمت أمام باربرا على الطاولة، شاب صوتها بكاء مكتوم وانتابتها رعشة عندما مدت يدها لتوديعه، جال فيندلن ببصره قليلاً في الغرفة وقد استعادت عيناه وهجها الذهبي، ثم رحل، بدأ شحرور يغني في الحديقة المجاورة وهي تنصت له في هدوء، على الباب كانت تتأرجح بفعل رياح الربيع لوحة إعلان عن سكن للإيجار.

جاء مستأجرون ومضوا، مرت الأشهر وكبر فيليب، أصبح يرتاد المدرسة وكان يحقق نتائج جيدة أثارت في أمه مشاعر الفخر، كانت تحلم بأن يحتل ابنها مركزاً مرموقاً وكانت على استعداد لبذل أي شيء تتطلبه الدراسة، بعد عام سيتوجب عليه الاختيار بين أن يصبح عاملاً ماهراً أو أن يلتحق بالدراسة الثانوية واللغات، أرادت باربرا أن ترتقي بابنها وترتقي معه، يجب ألا تضيع التضحيات التي بذلتها هباء.

كان يعاودها أحياناً التفكير في بيتر فيندلن، لازالت محتفظة ببطاقته المصفرة، التي دسها في باب غرفته، وكذا الورود التي أحضرها عند الوداع حيث حفظتها في كتاب الإنجيل، لم تكن تصلي إلا نادراً، لكنها كانت أيام الآحاد، تفتح الموضع الذي فيه الورود والبطاقة، وتمضي وقتاً طويلاً في استحضار الذكريات.

لم يعد يكفيها دخلها لمواجهة أعباء المعيشة، فاضطرت إلى الاستعانة برأس المال الصغير الناتج عن بيع الورشة، لكن ذلك لا يمكن أن يستمر على المدى الطويل، لذا أخذت تفتش عن مصادر أخرى، عملت في غسيل الملابس، كانت تخرج في الصباح وتعود عند الظهر حاملة رزمة ثقيلة من الملابس المتسخة، كانت تقضي نصف يوم في حجرة الغسيل، واقفة وسط الأبخرة المتصاعدة، كأن بخار الأوساخ كان يستقر على وجهها، إذ شحب وجهها واصطبغ بلون الحجر الرملي، وتكونت حول العينين تجاعيد على شكل خيوط رفيعة، أدى العمل إلى تغيرات في جسمها، تضخمت يداها وتراخى الجلد متدليا عند أطراف الأصابع بفعل الماء الساخن، كانت تمشي محنية الظهر، حتى إذ لم يكن معها حمل ثقيل، أثقل العمل كاهلها، لكن عندما كانت تنظر إلى ابنها ينفرج فمها من شبه ابتسامة.

ألحقته بالدراسة الثانوية واللغات، كانت سعيدة بذلك، لم يكن التعليم سهلاً، لكن فيليب كان يحفظ كل ما يسمعه وكان يحظى برضى معلميه، شكلت النتائج المدرسية التي كانت تمنح له مناسبات سارة لباربرا، حرصت أثناءها على إدخال السرور إلى قلب ابنها، وترتيب نزهات إضافية تحملت في سبيلها نفقات مؤلمة، لم يكن فيليب يحس بشيء من ذلك، كان غالباً ذاهلاً عما يدور حوله، نادراً ما بكى، وأهدافه كان يسعى إليها بقوة، وأي مهام مطلوب منه تأديتها، كان ينجزها بالاستعانة بقوته الجسدية وكأنه عاكف على تسوية لوح بلوط، كان حقاً ابن أبيه، أما أمه فلم يكن يفهمها، يراها دوماً غارقة في العمل، لكن ذلك كان يبدو له أمراً بديهيا، انعدمت لديه رقة الأحاسيس لذا لم يكن قادراً على إدراك ما تعانيه أمه في أعماقها وما بذلته من تضحيات لأجله.

توالت السنون في بخار الغسيل الوسخ، وتسلل عدم الاكتراث تدريجياً إلى نفس باربرا، عناء صامت وانعدام وجود ما يمكن أن يدخل عليها البهجة والسرور، إذا استثنيا ذكرى فيندلن والشهادات المدرسية لفيليب، تدهورت صحتها كثيراً وكان عليها أن تراعيها فيما تقوم به من أعمال، كما اشتدت عليها آلام الظهر، لم تصدر عنها شكوى مما تعانيه، وعند عودتها إلى المنزل لم يكن فيليب المتبلد الأحاسيس يلحظ عليها شيئاً.

كان على فيليب أن يواصل مسيرته وأن يختار مهنة، لم يتوفر من النقود ما يكفي لمواصلة الدراسة، ولا وجدت وساطة تعينه على تبوأ مركز لائق، لم يكن يميل إلى أية مهنة بعينها ولا رغب في تخصص بذاته، علم اللاهوت كان المجال الوحيد المريح له أكثر من غيره، وقد توفرت إمكانية لقبوله فيه، امتدت أمامه حياة انطوت على شيء من الدعة والاستقلالية، ارتدى ثوب الرهبان والتحق بتخصص علم اللاهوت، جمع حاجياته الصغيرة ووضعها في حقيبة خشبية صغيرة وانتقل للإقامة في حجرة ضيقة كانت مبعث اعتزازه على طريق المستقبل، رسائله كانت نادرة وجافة كنشارات الخشب، كانت باربرا تقرؤها بمشقة باهتمام كبير، أصبحت ترتاد الكنسية أكثر من ذي قبل ليس من أجل إشباع حاجات روحية، بل لمشاهدة القساوسة وصعود منبر الكنسية متخيلة ابنها يفعل ذلك، ظلت تعمل كثيراً رغم انتفاء الحاجة لذلك، كانت كالساعة التي لا يمكن أن تتوقف طالما ظل ترسها يدور، تواصل تدهور صحتها، وكانت بين فترة وأخرى تلازم الفراش عدة أيام، عانت من آلام مبرحة في الظهر ومن سعال جاف كان يهتز له جسدها النحيل، ثم جاءتها الحمى وجعلتها شبه عاجزة.

لازمت الفراش أسبوعاً وأسبوعين جاءت إحدى جاراتها لتعينها على احتمال حالتها أخيراً عزمت على الكتابة لفليب ولعدم قدرتها على الكتابة قامت بإملاء الرسالة قبلت الرسالة خلسة قبل أن تعطيها لمن يتولى إرسالها حضر فيليب بعد ثمانية أيام طوال كان متعافياً لكن وجهه خلا من أية نضارة كان يرتدي ثوب رهبان ازرق اللون وعلى رأسه قلنسوة وضع القلنسوة بلطف على السرير وقبل يد أمه دون أن يظهر عليه أدنى جزع اخذ في الحديث عن جهوده لنيل إجازة الدكتوراه وابرز الدبلوم العالي الذي حصل عليه واقفاً إثناء ذلك مشدود القامة كأنه عمود وبدأ عليه ثوب الكنيسة والقلنسوة كأنهما كبسولة صفيح استغرق في سرد ما يقوم به من أعمال رغم عدم فهم أمه شيئاً مما يقول غلب على كلامه نبرة مفخمة كأنه كان يتدفق من انفه كما هو شان مدرسيه عندما يتكلمون سمعت أجراس الكنيسة فقام برسم الصليب في الهواء اخرج كتاب الصلاة واخذ يتلو منه هامساً بتركيز شديد ظهر على وجهه.

بدت دلائل الاستغراب على باربرا التي كانت مستلقية على السرير لم تتخيل أن تجري الأمور على نحو ما صور ابنها تحدثت عن اشتياقها له ورغبتها في أن تراه ثانية قبل أن يوافيها الأجل . وما أن سمع فيليب كلمة الموت حتى الحديث عن الدار الآخرة وعن الثواب الذي ينتظر الأتقياء في السماء . ولم يبد على صوته أي الم فقط كان ينم عن نوع من الرضى عن النفس وارتياح من القدرة على استعراض ما تعلمه على سرير أمه، التي تشارف على الموت.

تملكت الأم المريضة رغبة قوية في إيقاظ ولو قدر يسير من الحب في قلب ابنها، شعرت بأنها المرة الأخيرة التي يطاوعها فيها لسانها على الكلام، أخذت بالحديث عن نفسها، وكان روحاً كان يهمس لها بالكلمات تكلمت ببطء وبتردد عن الحب الوحيد في حياتها وعن التضحيات التي بذلتها في سبيله سكتت في نهاية حديثها انطوى سكوتها على انتظار انتابته رعشة ظل فيليب صامتاً انه فاقد الإحساس بمثل هذه الأشياء ولا يهتز لها كيانه ظل على صمته وهو مشدود القامة متبلد الشعور بدأ يتثاءب خلسة ثم عبر عن رغبته في الخروج قليلاً ليستعيد شيئاً من نشاطه.

بقيت باربرا على فراشها وهي غير قادرة على فهم ما يدور حولها سيطر عليها شعور بألم وحسرة عميقة على العمر الضائع فكرت في بيتر فيندلن وصدرت عنها ضحكة فاترة حتى في ساعة موتها يعاودها شعور بالدفء من وهج عينيه. اهتز جسدها لنوبة سعال عنيف وعندما زال بقيت فاقدة الوعي.

عاد فيليب وعندما رآها على تلك الحالة اخذ يصلي وهو في حالة تشنج أرسل في طلب الطبيب والقسيس فحضرا . امتلأت الغرفة بالجارات واشتد بكاؤهن في أثناء ذلك دون أن يلحظ احد انسلت روح باربرا من جسدها متهادية إلى عالم الخلود.

ضمن فعاليات احتفاء مكتب الثقافة بعدن بالعيد الوطني الثاني والعشرين

(الإعصار).. عرض مسرحي يفجر الصراع التاريخي بين الخير والشر

كتب/ مختار مقطري

ضمن فعالياته الفنية الجميلة للاحتفاء بالعيد الوطني الـ (22) لبلادنا قدم مكتب الثقافة بعدن عرضاً مسرحياً بعنوان (الإعصار) على خشبة قاعة فلسطين للمؤتمرات صباح يوم الأحد الماضي الموافق 20/ 5/ 2012م من تأليف الأستاذ/ أحمد عبدالله سعد وإخراج الفنان المبدع قاسم عمر، تمثيل نخبة من ابرز فناني المسرح بعدن، وكان في مقدمة الحضور الفنان رامي نبيه، مدير عام مكتب الثقافة بعدن، الفنان القدير على احمد يافعي الذي يشع حضوره ألقاً بتاريخه الفني الطويل وعدد غير قليل من مثقفي وأدباء وفناني عدن، ولفيف من الحضور الأنيق وانتهزها فرصة لتهنئة الفنان رامي نبيه على تبوئه قيادة العمل الثقافي بعدن مؤخراً وهو تشريف له كفنان ومثقف وتشريف لكل فنان، وتكليف كبير ومسؤولية كبرى، لتنوع أشكال الإبداع والثقافة بعدن، مع ميزانية شحيحة لإدارة كل هذا النشاط المتنوع والحيوي والمؤثر، وهو تكليف شاق ومسؤولية كبرى حين يكلف بأدائه فنان جميل ومثقف محترم مثل رامي نبيه، مرهف الإحساس بالمسؤولية وبالأمانة في الأداء والتواصل مع كل المبدعين، يحترمهم ويشعر بمعاناتهم، فيراهم دائماً اكبر منه جميعاً حتى الاصغر منه فنياً، ليعطي لكل ذي حق حقه ومستحقاته دون من او مساومة او اذلال ليحرص على التواجد معهم دائما دون تعال ولا نفور ليسهل لهم ماصعب من امورهم، ويزيل أية عراقيل بألفة وتواضع مألوفين في الفنان رامي نبيه، واندفاع للبذل والعطاء وان كانا على حسابه الخاص، وهذا ماعودنا عليه رامي نبيه، وهو مابدأ به ادارته للنشاط الثقافي بعدن، داعين له بالتوفيق والنجاح في اداء مهماته الكبيرة، وكان رائعاً جداً رغم شحة الامكانات ان يعطي مكتب الثقافة بعدن ممثلاً بمديره العام الفنان رامي نبيه حيزاً للمسرح في احتفالات هذا العام بالعيد الوطني لبلادنا للتذكير بحضور ووجود المسرح بعدن لابنائها عشاق المسرح، وهي مغامرة كبيرة من مدير جديد لما يتطلبه تقديم عرض مسرحي من امكانات كبيرة في مقدمتها التفاني والاخلاص، لكن النتيجة كانت رائعة .. عرض مسرحي رائع وجميل، وجمهور كان كبيراً، كبيراً بتجشمه عناء السفر لقاعة فلسطين البعيدة عن الاحياء السكنية في مديرية صيرة وغيرها من مديريات محافظة عدن ولموافقته على مشاهدة عرض مسرحي على خشبة وفي قاعة لا تصلح لتقديم عرض مسرحي ولا حفلة موسيقية لكن العرض الاعصار كان رائعاً رغم كل ذلك بما يوازي طموح مكتب الثقافة وطاقم العمل، وحرص الجميع على الوفاء للمسرح والفن والابداع عموماً فالف شكر للجميع.

(الإعصار) .. الصراع بين الشر والشر

في الجريمة الاولى للانسان، قتل قابيل اخاه هابيل، لان الله تقبل القربان من هابيل ولم يتقبل قربان قابيل، فكان الحسد باعثاً للشر وسبب الجريمة الاولى، لكن الصراع بين الاخوين كان للفوز بمرضاة الله .وبتطور المجتمع البشري وتطور الانسان، واتساع اهوائه الخبيثة واطماعه الكبيرة في امتلاك الدنيا، تطور الشر، فلم يعد الصراع بين الخير والشر، كما في قصه قابيل وهابيل، بل صار صراعاً بين الشر والشر، كما يراه مؤلف العرض المسرحي الاعصار او كما رآه المشاهد هذا التطور الطبيعي للشر هو نتيجة حتمية -كما رآها المؤلف - لصراع الاقوياء على السلطة والجاه والمال الانانية والقسوة والاستبداد دون مراعاة لحقوق المحكومين وآمالهم وعلى حساب دموعهم وآلامهم ومعاناتهم لكن الصراع بين الشر والشر، يبقى ناراً تحت الرماد، بركاناً تسد فوهته التحالفات على المصالح وتقسيم الغنائم والاستمرار في امتصاص دماء الفقراء والمستضعفين ليبقى الاقوياء في نعمائهم مترفين ولكن غافلين عن لحظة اندلاع النار من تحت الرماد وتفجر البركان وهي لحظة لا يصنعها ضعفهم ولا خلافاتهم وإنما تصنعها معاناة المحكومين وشقاؤهم وبؤسهم وتكون لحظة الإعصار الذي يزلزل العروش ويدك الأبراج وينسف معاقل الطغيان ليبدأ الصراع بين الشر والشر لينتصر الخير والحب والسلام، وتستمر الحياة.

وبعيداً بل وبمعزل عن المطابقة الساذجة بين الحدث في العرض المسرحي الإعصار وبين الحدث في ثورات الربيع العربي، يمكن اعتبار فكرة الصراع بين الشر والشر هي المرجعية الفكرية والتاريخية للمؤلف قبل ان يشرع في الكتابة ولو كانت مرجعيته الفكرية والتاريخية هي الفكرة التقليدية المألوفة في معظم ان لم يكن في كل الأعمال الدرامية لبدأ العرض بمشاهد عن معاناة المحكومين عن الجوع والبؤس والفقر والمرض، فالمؤلف لم يحترم عقل المشاهد وحسب ولكنه كذلك يحترم معاناته فالمشاهد جزء من المحكومين المضطهدين ثم تعاون المؤلف والمخرج على إتاحة الفرصة للمشاهد ليستحضر معاناته منذ اللحظة الأولى للعرض ومنذ الجملة الحوارية الأولى في النص .. موسيقى مخيفة وعاصفة قادمة وحاكم مستبد يحتضر وصراع بين اضلاع مربع نظام الحكم، أربعة من الجنرالات والقادة العسكريين وفتاة ضعيفة هي رمز الاضعف حلقة في النظام الحاكم، ولكنها ليست رمز لجانب الخير فيه فلا خير في نظام اسري عسكري مستبد، وكم كنت آمل ان يجتهد المؤلف والمخرج لتوظيف هذه الشخصية على النحو الذي أرجو ولكن كل ما اقوله وكل مااكتبه مجرد انطباعات .

إذن بدأ العرض في لحظة قدوم عاصفة هوجاء إعصارية مريعة، فأيهما كان اسبق، إنذار العاصفة ام بدء احتضار الحاكم؟ انهمار مترابطات جدليان، فالاحتضار هنا رمزي يبدأ بوصول تراكم معاناة المحكومين الى الذروة ليبدأ اهتزاز نظام الحكم، فالاحتضار رمز لتراكم فساد الحاكم المستبد فينبغي تغييره لا تغيير الرعية فالثورة لا تندلع في لحظة ضعف الحاكم مما يستوجب التعاطف معه، لكنها تأتي في لحظة قوته المتجبرة القمعية، لكن الشر الذي يصنعه ياكله من الداخل، ليسقط بسهولة مع اندلاع اول شرارة للثورة، مهما بالغ في قمعها واسرف في اسكاتها ولانه نظام قائم على الشر تبدأ اضلاعه في محاولات النجاة، ليس النجاة من الهلاك، فهي على يقين من هلاكها، ولكن النجاة بما تمتلكه من ثروة وقدرة على الخداع والتآمر وبذر الفتن في محاولات يائسة للاستحواذ على السلطة حتى المدعي بيقظة ضميره والتعاطف مع المحكومين المظلومين يسقط في الاخير لانه أحد اعمدة النظام المستبد الظالم فلا خوف من طول امد الشر لانه يصارع الشر في داخله، ليغدو هشاً وضعيفاً وآيلاً للسقوط لاهون احتجاج، وان بدأ للمحكومين قوياً ومتماسكاً في ظلمه وجبروته .

والمسرح ليس نقلاً للواقع كما هو ولكنه لحظة ابداع ممتزجة بقراءة فكرية، وهذا مافعله المؤلف فكتب النص بلغة مفرداتها موحية، وبناء درامي ذي ايقاع متناغم بهدوء فخلا النص من العبارات الصاخبة والرافضة بضجة وصراخ وبني الايقاع على احساس هادئ وحزين هو ليس احساسه دون شك ولكن احساس الشخصيات التي خلقها في النص حاكم مستبد يحتضر وأبناؤه الاربعة، جنرالات وقادة عسكريون لكنهم جميعاً في لحظة الفصل بين البقاء والنهاية، بشر يودعون السلطة والمال ويواجهون انهياراً حتمياً وعلى يقين ان كل مؤامراتهم على بعضهم للبقاء فاشلة، فاللحظة حزينة لحظة عتاب وتلاوم ونصائح وتبادل التهم لا لنتعاطف معهم ولكن لنشعر بالنهاية الوخيمة للشر، ليتعظ النظام القادم، فالحاكم المستبد (الاب) وقد جسد شخصيته وبكل براعة واقتدار الفنان القدير قاسم عمر (مخرج العمل) كل صوته مختنقاً وخطاه بطيئة لا لانه مريض يحتضر وحسب ولكنه ايضاً في لحظة الانهيار انهيار كل شيء حتى أبناؤه الاربعة الجنرالات ، الذين سقطوا في التآمر والهروب من المواجهة بثبات، وقد برع المخرج في توجيه الممثلين الى هذا الاداء، من قراءاته المتعمقة في النص، فاللحظة ليست لحظة اعصار وانما فناء مريع للشر، وكان قاسم عمر بارعاً في ادائه للشخصية في صوته المخنوق وخطاه البطيئة حتى وهو يصدر الاوامر ويؤنب ابناءه وينهار الانهيار الأخير في لحظات من التمثيل لا اروع ولا اجمل.

وكان الفنان القدير قاسم عمر مبدعاً رائعاً في اخراجه للنص، فحافظ على الايقاع الهادئ والحزين حتى في اشد لحظات الانهيار، وعلى موسيقى قوية حيناً للدلالة على مجيء الاعصار وحزينة حيناً آخر للدلالة على المشهد الحزين بالنسبة للشخصيات التي تحتضر كلها حتى وهي تتآمر على بعضها، رغم وجود هنات قد يجدها كاتب انطباعي مثلي في الموسيقى التصويرية، فالحدث يجري في مدينة ساحلية، ومع ذلك لم اشعر بالبحر بكل مافيه من غموض واسرار فرغم الاعصار لم اسمع مزج البحر الا هادئا وللحظات قليلة، وغاب صوت الامواج الهادرة حتى في لحظة الانهيار الاخير، ولم اسمع صوت طيور البحر، وحين كانت ابنة الحاكم تحدثنا عن خوفها من مجيء الغربان لم اسمع صوت الغربان لكن المخرج كان موفقاً في توظيف الإضاءة الحمراء والصفراء في تصوير الثورة القادمة والبركان داخل الاسرة الحاكمة بسبب خلافاتها الناتجة عن ميلها الشديد لفعل الشر، وكل الاكسوارات كانت مصنوعة من صدف البحر وهذا رائع وجميل، وشباك الصيد وظفها المخرج ببراعة لتصوير وقوع الجميع في المصيدة التي لا فكاك من شباكها.

لقد كان قاسم عمر بارعاً ممثلاً ومخرجاً وكان الممثلون رائعين في تجسيد شخصيات العرض في تناقضاتها وخوفها ومؤامراتها فؤاد هويدي كان يمثل باقتدار ممثل مجرب مدرك لابعاد الشخصية وكان هديل عبدالحكيم بارعاً في تصوير عمق الغموض في شخصية الجنرال المخادع المدعي صحوة الضمير حتى يوشك على الهلاك مع الآخرين وكان احمد يافعي بارعاً في تصوير شخصية الاخ الجبان مع قدرته الفائقة في خلق الفتنة بين شقيقه الاكبر منه فانتقل ببراعة من شخصية الابن الجبان المعتمد على ابيه الحاكم الى شخصية الماكر القادر على زرع الفتنة وعلى اقناع